اختفاء رقم صفر

محمود سالم

اختفاء رقم صفر

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

اختفاء رقم صفر

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩ ٢٩٣٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مصرع الزعيم «صفر»!	١١
القلعة!	١٩
الصراع مع سمك القرش!	٢٧
ضياع «هدى»!	٣٣
انفجارٌ بالقلعة وحريقٌ بالغواصة!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مصرع الزعيم «صفر»!

هل هو صراعٌ دائم بين الخير والشر؟

وهل لن ينتصرَ أحدهما على الآخر انتصارًا أبديًّا؟

وهل سيحكم العالمَ يومًا ما قانونٌ واحد منهما ... إما الخير وإما الشر؟

وماذا سيحدث إذا انتصر الشرُّ وحكم وحده الأرض؟

وماذا إذا انتصر الخير؟

قال «أحمد»: إذا حكم الشرُّ الأرض، فسنظل نعمل بلا نتيجة ... لأننا نعمل لنصرة الخير.

قال «عثمان»: وإذا حكم الخير الأرض، فسنموت من الجوع ... فنحن نعمل لمحاربة الشر ونصرة الخير.

ضحك الشياطين رغم جدية النقاش وأهمية الموضوع الذي يناقشونه، وهم في جلسة عمل هامة، كان هدفها ... تحديد مدى أهمية دورهم، ودور كل الأجهزة والمنظمات المعنية بالأمن، والوقوف في وجه الشر والأشرار ... وقد علَّقت «ريما» على كلام «عثمان» قائلة: معنى ذلك أن وجود الشر في مصلحتنا؟

إلهام: إن وجودَ الشر لازمٌ لوجود الخير ... فهما كالسالب والموجب في الكهرباء، ولن نستطيع إدارةَ أيِّ محرك أو جهاز بقطبٍ واحدٍ منهما.

«أحمد»: وهما كالليل والنهار، ولن تدوم حياة بليل دائم، أو نهار دائم.

«قيس»: نعم ... وإلا ستختلَّ حركةُ الحياة ... مما يؤدي إلى فنائها.

«ريما»: أهذا يعني أن الخير والشر متوازنان في الكون؟

«أحمد»: نعم ... وكلما زاد الشرُّ دل ذلك على زيادة الخير في الحياة.

«عثمان»: متَّعك الله بالأمل دائمًا ... حتى لا نفقدَ عملنا.

«إلهام»: معنى ذلك أن عملَنا هامٌّ ومشروع؟

«أحمد»: جدًّا ... فنحن نحوِّل الشرَّ إلى قطبٍ يُدير مع الخير حركةَ الحياة.

علَت آهاتُ الاستحسان لما قاله «أحمد» من الشياطين ... وأعلنوا جميعهم عن حبِّهم لعملهم، واحترامهم الشديد له ... واستعدادهم للقيام بما يُطلب منهم من مهام، ولو كلَّفهم ذلك أرواحهم.

ارتاح الزعيم رقم «صفر» كثيرًا للنتيجة التي وصل إليها الشياطين، وقد كان يُتابع حوارَهم من مقرِّه بقيادة المنظمة ... وهو يرحِّب بهذه الحوارات كثيرًا ... فهي تطرد كلَّ الأفكار المحبطة من رءوسهم، وتُجدِّد لديهم روحَ القتال والمغامرة ... وشجَّعه ذلك على الاتصال بهم ليُناقشَ بدوره معهم الجديدَ من أساليب الشر والأشرار.

إلا أن اتصالًا خارجيًّا جعله يؤجِّل ذلك إلى وقت لاحق.

وفي نفس الوقت، وعلى شاشات ساعاتهم، استقبل الشياطين إرسالًا أدهشهم؛ فقد شاهدوا حيوان «وحيد القرن» يملأ الشاشة، في ألوان زاهية، ويتحرك كالرسوم المتحركة، ليؤديَ حركاتٍ غيرَ واقعية تُشبه إلى حدٍّ بعيد ألعابَ الفيديو جيم ... وبالاتصال بإدارة المقر، عرف «أحمد» أنها إحدى ألعاب الفيديو جيم التي تبثُّها الإدارة من حين لآخر.

فتعجَّب «عثمان» لذلك؛ فالألعاب كي يتمَّ التعامل معها ... يجب أن تكون مخزنة كبرنامج على الجهاز الذي يتمُّ التعامل معه سواء كان كمبيوتر أم ساعة، أو أي جهاز آخر ... ولكن أن تُبثَّ اللعبة عبر الأثير، ويتم التعامل معها والتحكم فيها فهذا يُعدُّ إنجازًا علميًّا جديدًا.

إلا أن ما عرَفه الشياطين فيما بعد، جعلهم يعرفون قيمةَ هذه الألعاب ... وكيف أن حركة هذا الحيوان تُترجم إلى حروف مكونة لغةَ تراسل ... بديلًا عن الشفرة التي يمكن حلُّها مهما صعبت، بواسطة الكمبيوتر.

فأثار ذلك تساؤلًا آخر لدى الشياطين؛ فلماذا «وحيد القرن» أو «الخرتيت» أو «الكركدن»... وكلها أسماء له.

وكان لـ «عثمان» إجابة على هذا التساؤل؛ حيث قال: أعتقد أنهم لو جعلوه قردًا أو فيلًا ... كنَّا أيضًا سنقول لماذا؟! وأنا أعتقد أنهم لم يقصدوا شيئًا باختيار هذا الحيوان بالذات.

ريما: إن ما أعرفه عن هذا الحيوان أنه نباتي ... وضعيف النظر جدًّا.

قيس: وعندما يشعر بالخطر فإنه يهاجم بكل جسده.

أحمد: أي أنه قوة بلا عقل أو نظر!

إلهام: إنه يُشبه الإرهاب ... والإرهابيِّين؛ فهم يملكون أسلحةً وليس لديهم عقل ... ولا يفرقون بين طفل أو شاب أو شيخ، ولا بين مسلح أو أعزل.

أحمد: ولكن هناك فرقًا جوهريًّا ... وهو أن «الخرتيت» لا يهاجم إلا دفاعًا عن نفسه، أما الإرهابي فإنه يهاجم بلا مبرر أخلاقي.

وفجأة ... لمَعَت عيونُ كلِّ الشياطين، ولفَّتهم لحظةُ صمتٍ مرتقب، قطعه «فهد» بقوله: تقصدون كلكم أن العملية القادمة لها صلةٌ بالإرهاب بشكل أو بآخر؟

بو عمير: إن نيران الإرهاب تحرق بلدي «الجزائر» ... فهل سنستطيع نحن أن نخلصَها منه؟!

«أحمد»: بالطبع لا ... فهذا يخصُّ الأجهزة الأمنية في بلدك، التي هي بلدنا لوجودها في الوطن العربي، وأيضًا تخص الشعب هناك.

وهنا سمعوا صوتَ رقم «صفر» من مكبرات الصوت يقول: أما نحن ... فلدينا عملية تخصُّ رأسًا من رءوس الإرهاب في الخارج.

«أحمد»: أكنت معنا يا زعيم؟!

رقم «صفر»: نعم ... فالمهمة القادمة بدأت بالفعل ... من عندي ... لذا كنت أتابع حواراتكم إلى أن حانَت اللحظة المناسبة.

إلهام: في «إنجلترا»؟

رقم «صفر»: سيصلكم ملفُ العملية وبه التفاصيل ... المهمة خطيرة فاستعدوا لها ... سأتصل بكم قريبًا ... أتمنى لكم التوفيق.

ابتعدَت خطوات رقم «صفر»، ثم أعقبها صوتُ بابِ سيارة يُغلق ... وقبل أن يسمعوا صوتَ محرِّكِها، دوَّى صوتُ انفجار شديد ... أعقبه صوتُ أجسام تتساقط وأخرى ترتطم بالحوائط، ليختلطَ كلُّ ذلك بوقع أقدام تهرول هنا وهناك.

ولم يبقَ في المقر أحدٌ من الشياطين ... فالكل خرج يستطلع ما حدث لرقم «صفر» في قلق ... متخفين بالأشجار الكثيفة المحيطة بالمقر، فلم يروا من السيارة غير بقايا هيكلها وحوله كثيرٌ من الشظايا، فالتقَت عيونهم في تساؤل وجزع ... عمَّن كان في السيارة المحترقة!

وازدحم المكانُ بسيارات الشرطة، وبالكثير من الجنود والضباط، واختلطَت الأصواتُ فلم يتبيَّنوا شيئًا مما يقال ... فآثروا العودة إلى قيادة أمن المقر ... فقد يكون لديهم معلوماتٌ عما حدث ... وعن سيارة رقم «صفر» وأين ذهبَت ... وهل هي التي دُمِّرت في

الحادث؟ وهل كان بداخلها؟ لقد شاهدوا جثثًا متناثرة حول السيارة ولكنهم لم يستطيعوا معرفة رقم «صفر»؛ لأنهم لم يروه من قبل ... وإن كان هو فمَن ذا الذي يعرفه حتى يلغم له السيارة؟ وهل هو المقصود أم أنها مصادفة؟!

غير أنهم لم يجدوا لأسئلتهم إجابة ... مما زادهم حيرة وجعلهم يتساءلون أيضًا عن صمت قيادة الأمن، وهل هي أوامر صدرَت لهم بتكتُّم خبر مصرع رقم «صفر»، ورأوا أنه التصور الأقرب للتصديق ... فعمَّ القلق والحزن أرجاءَ المقر ... وتوقَّف الشياطين عن الحركة، وتسمَّروا في مقاعدهم ولفَّهم الوجوم ... إلى أن حضر إليهم نائبُ رقم «صفر» يطلب منهم الاستعداد للانتقال إلى المركز الرئيسي للمنظمة في الصحراء الغربية.

فتأكد لهم الظن بأن مكروهًا وقع لرقم «صفر» ... وحاولوا التماسك ... ولكنهم شعروا بعدم الرغبة في السفر بالسيارة ... فطلبوا منه أن تُقلَّهم طائرةٌ إلى هناك غير أنه وبعد الرجوع إلى قيادة المقر ... أبلغهم بضرورة تجاوز الظروف التي يمرون بها ... والتحرك بشكل طبيعي؛ فالعمل لن يتوقف وسيوفرون لهم سيارة جيب ... تسعهم جميعًا لينتقلوا بها إلى المركز الرئيسي.

وتعجب «أحمد»؛ فأبسط قواعد الأمان ألَّا يجتمعَ أكثر من ثلاثة شياطين في سيارة واحدة ... فماذا حدث؟ وهل هذا هو الفرق بين قيادة رقم «صفر» والآخرين؟!

ولم يندهش «أحمد» حين وجد «إلهام» تتزعم بقيةَ الشياطين في الاعتراض على هذا القرار ... وطَمْأنهم أنه سوف يراجع الإدارة فيه ... إلا أن قيادة المقر أخبرَته أن هذا القرار نهائي ... ولا رجعة فيه ... مما آثار دهشته، ودهشة الشياطين حين أبلغهم به ... وتساءلوا عمَّا يعني ذلك؛ أيعني أنه لم يَعُد من المهم الحفاظ على حياتهم أم أن هناك خطة للتخلص منهم بعد أن تخلصوا من رقم «صفر»؟!

وتملَّكهم الانزعاج حين راودَتهم هذه الفكرة ... فهل يكون هؤلاء هم قتلة رقم «صفر»؟!

وحين وصلَت أفكارهم إلى هذا المدى ... رأى «أحمد» أن يتمَّ مناقشتها في مكان آخر بعيدًا عن المقر.

وفي الخامسة إلا خمس دقائق، وتنفيذًا للأوامر الصادرة إليه، قام «أحمد» بتسليم السيارة البراق إلى قيادة المقر.

وفي تمام الساعة الخامسة مساءً، تحرَّكت الجيب الضخمة وبها مجموعة من الشباب، يمثِّلون الوطنَ العربي كلَّه، لقد أجمعوا على حبِّه، وقادهم زعيمهم الذي أحبوه واطمأنوا

على أرواحهم معه ... إنه الزعيم رقم «صفر» الذي لم يروه ولن يروه، والذي قادهم لخدمة وطنهم في مهام انتحارية كثيرة ... عادوا منها كلها سالمين، وقد أدوها على خير وجه ... فهل سيدعون عملية اختفائه تمرُّ دون تدخُّل؟ وهل سيستسلمون لأفكارهم ولمشاعرهم رغم شعورهم بأن هناك نية تُبيَّت لتصفيتهم؟

بالطبع لا ... حتى ولو كانت هذه نهاية منظمة الشياطين، فلم تكن نهاية مهامهم ... فهناك مهمة ضخمة ملقاة على عاتقهم ... إنها البحث عن حقيقة مصرع رقم «صفر» ... وإن تأكدوا منها فستكون مهمتهم التالية هي الثأر له ... وذلك يتطلب البحث عن قتلته وأسباب قتله ... وسيقومون بذلك دون الاستعانة بالمنظمة.

هذا ما اتفقوا عليه كتابةً ... فقد كانوا يشكُّون في وجود أجهزة تجسس في السيارة، وقد اقترح «عثمان» ألَّا يُكملوا الطريق إلى المقر الكبير ... وأن يقوموا بتسليم أنفسهم إلى السلطات المصرية.

إلا أن «أحمد» لم يوافقهم على ذلك قائلًا: يجب أن نضع في اعتبارنا ... إننا حتى الآن لم نتأكد من حدوث انقلاب في المنظمة، وأنهم بصدد التخلص منَّا ... وبالفرض لو حدث ذلك، فأمامنا مهمةُ الثأر لرقم «صفر» والقبض على القتلة وإنقاذ المنظمة ... وفي اللحظة المناسبة ... سنطلب تدخُّلَ قوات الأمن المصرية.

وافق الجميع على اقتراح «أحمد» ... واقتراح آخر لـ «إلهام» بأن يقوم «أحمد» بقيادتهم ... إلى أن يظهر رقم «صفر» ... وألا يتحركوا إلا بأوامر مباشرة منه.

كان «قيس» يجلس خلف عجلة القيادة ... منبهرًا بإمكانيات السيارة ... وقد اكتشف من خلال الكمبيوتر الملحق بها ... أنها فندق مسلح متحرك ... وأنها معدَّة لتكون مقرًّا لقيادة متحركة ... وعندما أخبر «أحمد» بذلك سأله مستفسرًا ... إن كانت محصنة، فأخبره أنها قويةٌ ويمكن أن تحتمل انفجارَ قنبلة من الحجم الصغير ... فابتسم في راحة، وقد لاحظَت ذلك «إلهام» فسألَته قائلة: إن وضعنا معًا في سيارة كهذه ليست مخاطرة، أليس كذلك؟!

أحمد: نعم ... وربما قد يكون المقصود من ذلك أن نتخذها مقرًّا.

ريما: وإذا ربطنا ذلك بالحادث الإرهابي الذي وقع بجوار المقر ... والذي نظن أن الزعيم راح ضحيته قد يكون المقصود بذلك هو إبعادنا عن المقر حتى يتمَّ تأمينه.

عثمان: أتقصدون أن هذه السيارة هي مقرنا الحالي؟

أحمد: أنا متأكد من ذلك.

فهد: إذن فالمنظمة بخير.

أحمد: نعم ... وسنعمل تحت قيادتها.

في هذه اللحظة شاهد «قيس» زرًّا في تابلوه السيارة يضيء متقطعًا ... فضغط عليه ... وانتبه الجميع لصوت يتردد في السيارة، ملقيًا عليهم تحيةَ المساء ... متمنيًا لهم التوفيق في مقرِّهم الجديد ... والذي انضمَّ لمجموعة المقر الخاصة بالمنظمة ... ولم يتمالك «أحمد» نفسَه واندفع يسأله قائلًا: ألَا يوجد جديدٌ عن الزعيم رقم «صفر»؟

إلا أنه لم يتلقَّ منه جوابًا، بل حيَّاهم تحيةَ المساء وانتهى الاتصال عند ذلك؛ فازداد حنق «أحمد» وزادَت حيرتُه ... فهل يعني صمتهم أن هناك أملًا في أن يكون رقم «صفر» على قيد الحياة؟ وإذا كان كذلك ... فكيف يتركونهم نهبًا للقلق والحيرة؟ هل هو مصاب؟ إن هذا الاحتمال يعني أنه كان في السيارة المنفجرة.

ولكن الحالة التي كانت عليها السيارة تدل على أن أحدًا لم يخرج منها حيًّا ... في هذه الأثناء كان «قيس» يعبث بمؤشر الراديو ... وكانت إذاعة صوت العرب تُذيع نشرة الأخبار ... وقد عرف الشياطين منها أن ثلاثة من الإرهابيِّين قد اقتادوا مجموعةً من السائحين من مختلف الجنسيات ... إلى معبد «الدير البحري» بالأقصر ... والتي تُقام عنده احتفالية «أوبرا عايدة» كل عام ... وطرحوهم أرضًا ... ثم قتلوهم بأسلوب بشع.

أفزعَت هذه الأنباءُ جماعةَ الشياطين، وحيَّر عقولَهم البحثُ عن أسباب منطقية تفسر أو تبرر قتل إنسان ... في أكثر اللحظات إنسانية ... وهي وقت خروجه للنزهة ... في بلد غير بلده ... مع أناس غير ناسه ... أي أنه وضع حياتَه وأمنَه وأمانَه بين أيدي العرف الإنساني، الذي يحكم بأن يعامل معاملة الضيف ... فيستقبل أحسن استقبال ... ويلقَى معاملة حسنة طوال فترة إقامته.

ولأن الحادث وقع في قلب الأمة العربية، ودرة العالم الإسلامي «مصر»، ولِمَا لآثاره من نتائج سلبية كثيرة عليها وعلى العالمِ العربي كلِّه ... تقرَّر بالإجماع أن يُعقَد اجتماعٌ عاجل ... يبحث فيه الشياطين الموضوعَ برمَّتِه ...

وعلى كورنيش الإسكندرية ... ورغم حرارة يوليو التي اقتربَت من الأربعين درجة إلا أنهم لم يحتاجوا لمكيف السيارة ... فقد كان هواء البحر أجملَ ألف مرة من كل مكيفات العالم.

ورغم خطورة ما يشغلهم ... إلا أنه أزاح عن صدورهم الكثيرَ من الهم ... وأسكن بدلًا منه الانتعاشَ والشعور بالأمل في الخروج من هذه المحنة أقوى وأفضل ... ولغرابة

الحادث ... كانت كلُّ التفسيرات تُشير إلى أن مدبِّريه هم أعداء هذا الوطن ... وهم قومٌ بلا دين ... ولا قلب.

يذبحون النساء والأطفال في كل مكان في «البوسنة» وفي «البلقان» وفي «فلسطين»، وفي الكثير من بقاع الأرض، ثم يصرخون هنا وهناك بسقوط الإسلام ... ويصورونه على أنه دينُ عنفٍ وإرهاب وقتل ... وهم صنعة هذا العنف وهذا الإرهاب وهذا القتل، وصاح فيهم «عثمان» قائلًا: إن كان الزعيم قد مات ... فهم قتلته ... وثأرُه وثأرُ هؤلاء السياح هم ثأرُنا لأنهم ضيوفنا.

أحمد: إذن هذه مهمتنا الجديدة.

إلهام: ما هي بالضبط؟!

أحمد: معرفة أبعاد هذا الحادث والوصول للرءوس المدبرة له، وكشف حقيقة مصرع الزعيم.

القلعة!

كان لـ «ريما» أصغر الشياطين سنًّا رأيٌ مخالفٌ في مسألة مصرع الزعيم؛ فرقم «صفر» لا يعرفه أحدٌ من العاملين بالمنظمة إلا المسئول عن الأمن.

ثانيًا: إنهم لم يقوموا بأيِّ عمل ضد هذه الجماعات ... أي لم تكن لهم معهم مواجهات حتى يقوموا بعمليات انتقامية.

ثالثًا: حركة الزعيم رقم «صفر» حركة محسوبة ومؤمنة ... ولا يمكن للجماعات الإرهابية اختراقها، ولن ينفذوا أغراضهم دون أدنى حساب لأمنهم.

أحمد: هذا كلام جميل ... ولكنه حتى الآن يدخل في باب الأماني ... وكلُّنا مثلُك نتمنى ألا يكون قد وقع للزعيم مكروه.

قيس: «أحمد» ... «أحمد» ...

أحمد: ماذا لديك يا «قيس»؟

قيس: إن هذه السيارة يمكنها النزول إلى الماء!

قفز «أحمد» في شغف ليجلس بجوار «قيس» الذي كان يبحث عن المزيد من إمكاناتِ مقرِّهم الجديد ... ووسط شغف بقية الشياطين تحدَّث «أحمد» بلهجةِ غيرِ المصدِّق؛ فهذه السيارة يمكنها الاختباء تحت الماء لفترات طويلة ولكن دون حركة؛ أي أنها تخرج من نفس المكان الذي نزلت فيه إلى الماء.

وعلى شاشات الكمبيوتر المثبتة في ظهرِ كلِّ كرسي ... تابع الشياطين فيلمًا عن هذه السيارة الغواصة وهم في أماكنهم ... وكان لهم الكثير من التساؤلات عن حاجتهم الحقيقة لهذا المقر وبهذه الإمكانات ... وهل هناك خطرٌ محدق بهم إلى هذا الحد؟ ولماذا ظهرَت هذه السيارة في هذا التوقيت بالذات؟ هل المقصود هو بثُّ الطمأنينة في نفوس الشياطين وإعدادهم لتقبُّل قيادة زعيم جديد غير رقم «صفر»؟ أم ماذا؟

قالت «إلهام» ردًّا على ذلك: ولماذا لا يكون حادثُ اغتيال رقم «صفر» تمثيلية؟

أحمد: وما المقصود منها؟

إلهام: لرفع درجة الاستعداد النفسي لمواجهة أولئك الإرهابيين بقوة.

عثمان: وهذا المقر الرائع؟!

إلهام: نوعٌ من التعويض عن غياب رقم «صفر».

ريما: معنى ذلك أنهم يريدون لنا أن نأتلف معه ... ونحبه.

مصباح: أشعر أن هذا المكان سيشهد اجتماعنا في الفترة القادمة ... أكثر من المقار الأخرى.

أحمد: طالما الحاجة تتطلب ذلك ... فلا مانع.

قيس: ألم يَحِن الوقتُ لنتحرك؟

أحمد: لا ... انتظر ... هناك رسالة ... فلنتلقاها أولًا ثم نتحرك.

كان «الخرتيت» يتحرك على شاشة الكمبيوتر المثبتة في تابلوه السيارة ... و«أحمد» يسجل ذلك على جهاز صغير معه في حجم الآلة الحاسبة الصغيرة ... وعندما توقَّف «الخرتيت» عن الحركة ضغط على زرٍّ على نفس الجهاز، وبدأ يقرأ: من مقر قيادة «ش. ك. س» إلى المقر المتحرك ... نعلم أنكم توقفتم للاجتماع عند النقطة ٣١ ك بجوار قلعة «قايتباي» ... برجاء التحرك إلى ميناء «أبي قير» ... وعدم التوقف لفترة طويلة بعد الآن دون تمويه ... شكرًا ... قيادة المقر.

عثمان: ياه ... كيف لم ننتبه لذلك؟!

أحمد: ما زلنا متأثرين لغياب رقم «صفر» عنَّا.

فهد: علينا أن نتجاوز ذلك بسرعة ... ما دمنا قد اخترنا الاستمرار.

أحمد: أنا معك يا «فهد» فيما تقول.

وهنا رفع كلُّ الشياطين يدَهم اليمنى وهم يصيحون في صوت واحد قائلين: نحن معك يا «أحمد» قائدًا، ولن نردَّ لك أمرًا.

أحمد: وأنا أعدكم ألَّا أتخذَ أيَّ قرار دون الرجوع إليكم.

سارَت السيارة المقر التي نسيَ الشياطين أن يختاروا لها اسمًا ... فحادث مصرع رقم «صفر» ... والذي لا يزال غامضًا قد شغلهم عن كلِّ شيء.

ولم يكن الشياطين يشعرون بحركة السيارة ... فقد كانت كلُّ النوافذ مغلقة بإحكام ... وزجاجها المزدوج لا يسمح بمرور الضوء منه.

أما «قيس» فقد كانت أمامه شاشة بديلًا عن الزجاج ... توضح له الطريق الذي يسلكه، والعوائق التي يقابلها ... وكيفية تجنُّبها.

وحانَت من «ريما» التفاتةٌ إلى زرٍّ أعلى زجاج الشباك ضغطَت عليه ... فتغيَّر لونُ الزجاج من الأسود إلى الشفاف ... ولم تصدِّق نفسها ... عندما رأت الماء يحيط بهم ... وصاحَت قائلة: «قيس» ... أين نحن الآن؟!

قيس: في الطريق لأبي قير.

ريما: أمتأكد أنت من أنه الطريق؟!

قيس: طبعًا فأنا أخضع لتوجيه الكمبيوتر.

نظرَت «إلهام» لها في دهشة وسألَتها: ماذا حدث يا «ريما»؟!

أحمد: «قيس» ... أَفقدنا الاتجاه؟!

ريما: المسألة ليست بهذه البساطة ... فالاتجاه صحيح كما تريده قيادة المقر ... وكما وجهنا الكمبيوتر.

عثمان: إذن ما المشكلة؟!

ريما: ليست هناك مشكلة ... هناك مفاجأة.

قيس: أرجوك ما هي المفاجأة؟

ريما: لقد وصلنا إلى أبي قير ومنه إلى الميناء ... ونحن الآن في البحر ... ويحيط بنا الماءُ من كل جانب.

علَت همهماتُ الشياطين ... فاستطردَت «ريما» قائلة: «قيس»؛ ألم يكن من الأجدى أن تسأل الكمبيوتر أين نحن؟

قيس: سأسأله.

ابتسم الشياطين ... وابتسم «قيس» لأول مرة منذ حادث انفجار السيارة ... وبدءوا يستعيدون نشاطَهم مرة أخرى ... وقد ظهر ذلك على «عثمان» الذي كان قليلَ الكلام جدًّا طوال الرحلة ... فقد عاد إلى أسئلته الصاروخية مرة أخرى وهو ينظر لـ «أحمد» ويقول: هيَّا يا زعيم ... كيف دخلنا الميناء دون اعتراضٍ من السلطات ... أو طلب إبراز تصاريح أمنية؟

مصباح: صحيح ... وكيف نحن الآن في عرض البحر دون مطاردة السلاح البحري ... أو السلطات عمومًا.

إلهام: قد تكون هذه السيارة خفية ... أي لا يراها إلا نحن.

ابتسم «قيس»، وقال: لا تحتاج المسألة إلى هذا النوع من الحلول ... من المؤكد أن هناك تنسيقًا بين قيادة المنظمة ... وسلطات الأمن في الميناء.

أحمد: ما يقوله «قيس» صحيح ... هذا هو الاحتمال الأرجح.

إلهام: إذن ... فنحن في طريقنا خارج البلاد ... بهذا المقر العجيب.

بو عمير: ولكننا لم نعتَد على المفاجآت مع رقم «صفر».

أحمد: لكل قيادة أسلوبها.

فهد: لا أعتقد أن أسلوب قيادتهم لنا سيتغير ... فهم يعرفون جيدًا ... كيف كان يتعامل معنا رقم «صفر».

أحمد: نعم ... وليس من الذكاء تغيير ذلك دون تدريب نظري وعملي.

إلهام: لا أعرف لماذا أشعر في كلِّ ما يحدث أن رقم «صفر» على قيد الحياة.

ريما: أريد أن أفهم يا «إلهام».

إلهام: كيف تشكُّ الإدارة ولو مجرد شك في موت الزعيم ولا تخضعنا لبرامج تدريب مع قيادة بديلة كما قال «أحمد»؟ هذا من ناحية ... ومن ناحية أخرى ... لم يَرِد في نشرة من نشرات الأخبار كلمة واحدة عن الحادث مما يُوحي بأنه حادث غير حقيقي!

عثمان: تمثيلي إذن؟

إلهام: نعم!

أحمد: وهل كان من الصعب على قيادة المنظمة بثُّ نشرات أخبار بما تريد؟!

إلهام: قد يكون ذلك مقصودًا حتى يتركوا لنا مساحة من الأمل والاحتمال.

شعر «أحمد» بأن كلام «إلهام» فيه قدرٌ كبير من المنطق ... ومثله بقية الشياطين ... ورأوا أن عليهم الآن الالتفات للمهمة التي سيكلفون بها ... فقد يكون وراءها الزعيم.

وبجوار «قيس» جلس «أحمد» ... وبدأ يبحث عن المزيد من إمكانات السيارة ... إلا أن أمرًا ظهر له على الشاشة جعله يفضِّل الاتصال بالقيادة ... فقد قال له هذا الأمر: سوف تعرف كلَّ شيء في وقته.

وحين اتصل بالقيادة في الهرم، طلبوا منه الاتصال بالمقر الكبير في الصحراء الغربية، وعندما همَّ بالاتصال بهم ... تلقَّى اتصالًا لم يعرف مصدره ... يُفيدهم بأن المهمة القادمة قريبة منهم جدًّا ... وعليهم الاستعداد الكامل لها.

وعندما سألَته «ريما» عن المقصود بالاستعداد الكامل قال لها: أي أن نكون في حالة تركيز عالية عقليًّا ونفسيًّا.

وقد لفت نظرَه ... دهشةٌ طرأَت على «قيس»، فسأله عن مصدرها.

قال: تصور يا «أحمد» ... أن هذا الاتصال تم من مكان قريب جدًّا ... يكون فوق سطح الماء.

أحمد: تقصد أن يكون هناك مقرُّ قيادة آخر ... مثل هذا المقر؟

قيس: أو غيره ... ولكن الكمبيوتر يقول ذلك.

تبادل «أحمد» و«قيس» مقاعدَهما ... ثم أخرج من جيبه كارتًا وضعه داخل فتحة خاصة في تابلوه السيارة ... وبدأ يُجري مسحًا شاملًا بموجات الرادار للمنطقة المحيطة به وعلى مسافات بعيدة ... ثم طلب تقريرًا مفصلًا من الكمبيوتر عن نتيجة هذا المسح ... إلا أنه لم يسجل شيئًا غير عادي ... فلم يقتنع ... وأعاد المسح مرة أخرى، فكانت كسابقتها ... فسجل أمرًا للكمبيوتر بمتابعة المسح الراداري للمنطقة مرة كلَّ خمس دقائق وتسجيل النتائج ... وعند الوصول إلى نتيجة إيجابية يتصل به ... وترك المقعد لـ «قيس»... وعاد ليجلس وسط الشياطين الذين لاحقوه بأسئلتهم، وكانت أولهم «ريما» التي قالت له: ماذا تقصد من هذا البحث الذي تقوم به عن طريق الرادار؟ هل تبحث عن المقر الذي أتانا منه الاتصال؟

أحمد: لا ... ولكني أبحث عن المقر الذي تحرَّكنا من أجله ... وتحدَّدَت فيه مهمتُنا.

عثمان: وهل تحدَّدت مهمتُنا؟

أحمد: لقد غادرنا المقر ... وفي نيتنا جميعًا مواجهة جماعة الإرهابيِّين الذي دأبوا على ضرب السياحة والسياح في «مصر».

عثمان: ولكن لم يتحدَّد لنا مكان للمهمة ... أو مع مَن ستكون المواجهة ... ومَن الذي سيكلف بها ... والنتيجة المطلوب الوصول لها.

أحمد: نحن لم نُوضع في هذا المكان لكي نشمَّ الهواء ... فمن المؤكد أن هناك شيئًا هامًّا يحدث بالقرب منا!

إلهام: أنا معك فيما تقول ... وخاصة بعد ذلك الاتصال الذي تلقَّيناه ... والذي يدل على أن مصدره قريب.

ريما: أي أن هناك تحركات قريبة منَّا لمواجهة ما.

بو عمير: وهل نحن نتحرك الآن أم متوقفون؟

قيس: لا ... نحن متوقفون.

أحمد: فلنتحرك يا قيس ... فالرادار لم يسجل نتيجة إيجابية حتى الآن.

أدار «قيس» محركاتِ السيارة المقر ... وانطلقَت بهم بلا صوت لها ... ولا صوت حولها يقطع صمتَ الليل ... وعينَا «أحمد» على شاشة الرادار ... ينتظر ظهورَ بادرةِ أمل ... تبدَّد له الكثيرُ من الغموض الذي يحيط بالمهمة حتى الآن ... لكن الوقت يمرُّ ولا جديد.

إلا أن الجديد كان يدور برأس «زبيدة» التي شعر «فهد» أنها تحادث نفسها، فسألها قائلًا: «زبيدة» ماذا يشغلك؟

زبيدة: إذا حدثَت مواجهة الآن ... فستكون معنا كلنا ... كل مجموعة الشياطين ... وهذا لم يحدث من قبل ... فلم يخرج أكثرُ من خمسة شياطين في مهمة!

فهد: نحن لا نملك إلا تنفيذ الأوامر.

رشيد: لا يا «فهد» ... في هذه الظروف بالذات يجب أن نفهم.

خالد: نفهم ماذا؟

رشيد: هل سيتم الدفع بنا جميعًا في هذه السيارة ... في مواجهة مع قوى لا نعرف مداها؟

فهد: ليس إلى هذا الحد ... فقد تخرج جماعة منَّا للتعامل مع الهدف ... في حدود ما اعتدنا عليه.

باسم: تقصد أنه توجد في هذه السيارة إمكانات لخروجنا وتحركنا جيدًا عن السيارة ... والقيام بمهمة ثم العودة؟

أحمد: نعم ... من الممكن ... ولذلك ردَّت المنظمة على سؤالي بأننا سنعرف كلَّ شيء في وقته ... ويتضح من ذلك أن بهذه السيارة العائمة ... إمكانات لا حدود لها ... ولا يمكن التعامل معها بأسلوب الشرح.

قيس: «أحمد» ... «أحمد» ...

التفت «أحمد» إلى «قيس» الذي كان متنبِّهًا إلى نقطة تظهر على شاشة الكمبيوتر الرادار ... وكانت مساحتها تكبر ببطء شديد ... مما أكد له أنهم يسيرون في اتجاههم.

وفجأة سمعوا أصوات إشارات خافتة يلتقطها جهازُ الاستقبال الفائق الحساسية المزودة به سيارتهم التي اتفقوا أخيرًا على أن يسموها «القلعة»، فعلَت الهمهمةُ بينهم وكثرَت التساؤلات عن هذه النقطة، وهذه الإشارات ... وهل هي سفينة؟ وهل هذه الإشارات خاصة بالاتصالات؟

إلا أن تحليل الكمبيوتر للأشعة المرتدة منها بيَّن أنها ليست جسمًا معدنيًّا.

وتساءلَت «هدى» عن عدم استعانة «أحمد» بالقناة الخاصة بالمنظمة على القمر الصناعي؟

فردَّ عليها قائلًا: تعلمين يا «هدى» أننا ركبنا «القلعة» دون تدريب ... ودون معرفة إمكاناتها ... وحتى الآن أنا لا أعرف إن كنَّا نستطيع استقبال إرسال القمر الصناعي عليها أم لا.

ثم التفت إلى مجموعة الشياطين قائلًا: ولكني أخبركم وأنا مسئول عن كلامي هذا بأن النقطة التي نقترب منها ... هي جزيرة صغيرة وسط الماء ... وهناك احتمالان لا ثالث لهما ... إما أنها قاعدة للمنظمة ... وسيتم تدريبُنا فيها على مواجهة الإرهابيِّين ... أو أنها قاعدة للإرهابيِّين.

الصراع مع سمك القرش!

لم يشأِ «أحمد» أن يقترب أكثر من ذلك من هذه النقطة ... التي كبرَت إلى حدٍّ كبيرٍ على شاشة الكمبيوتر ... قبل أن يعرف ماهيتَها ... وقد توصَّل «قيس» ومعه «عثمان» إلى أجهزة رؤية حديثة ... مزودة بها القلعة ويتم التحكم فيها إلكترونيًّا وقد ساعدَتهم هذه الأجهزة في معرفة ماهية هذه النقطة، التي اتضح أنها جزيرة ... ولكنها خالية من السكان ... عدا بعض الطيور البحرية ... والتي إن دلَّت فإنما تدلُّ على عدم نزولِ أحدٍ عليها منذ فترة بعيدة؛ مما شجعهم على زيادة سرعة القلعة للاقتراب منها أكثر ... للنزول عليها.

إلا أن «أحمد» ووسط دهشة الجميع أمرهم بالتوقُّف عن زيادة سرعة القلعة ... بل إيقاف محركاتها تمامًا!

فسألَته «إلهام» قائلة: هل لا زلت تشك يا «أحمد» في هذه الأرض؟!

أحمد: الحذر ... الحذر ... إن تخلينا عنه ضِعْنا ... وأتمنى أن تتعلموا من الظروف التي نمرُّ بها!

عثمان: وهل سيُوقفنا الحذرُ عن الحركة ... أم سيُعيدنا إلى الميناء مرة أخرى؟

أحمد: لا هذا ولا ذاك ... ولكني سأقطع المسافة الباقية حتى هذه الجزيرة سباحة!

إلهام: ياه ... لماذا أنت يا «أحمد» ... إنها مخاطرة.

أحمد: وهل هذه أول مرة نُقدم على المخاطرة؟

بو عمير: إذن سأنزل أنا بدلًا منك.

وتعالَت أصواتُ الشياطين وهم يرفعون أيديَهم يطلبون القيام بالمهمة ... إلا أن «أحمد» رفض كلَّ هذه العروض ... فالمصلحة هي التي تحدِّد مَن الأصلح للمهمة ... فردَّ «عثمان» قائلًا: أنا أرى أننا نحتاج هنا للقيادة ... وإذا أصابك سوءٌ اختلَّت هذه القيادة ... فاختلَّت الجماعةُ كلُّها ... دَعْني يا «أحمد» أقوم أنا بهذه المهمة.

أحمد: «عثمان» ... هذه المهمة سنقوم بها أنا وأنت و«إلهام» ... فهي تحتاج إلينا معًا ... ونحن نستطيع التنسيق فيما بيننا بما تقتضيه الظروف ... دون الحاجة إلى أمر مباشر مني ... فكلٌّ منكما قادرٌ على اتخاذ نفس القرار وحده.

صمت الجميع ... وساد الهدوءُ في «القلعة»، قطعه «أحمد» قائلًا: ليس معنى هذا أنكم غيرُ قادرين على اتخاذ القرار، على العكس ... إن كل واحد منكم بداخله قائد ... وها أنا ذا أترك «القلعة» لقيادتكم ... وأضع حياتي وحياة «إلهام» و«عثمان» بين أيديكم ... فإذا ما شعرتم أننا في خطر ... فعليكم بمساعدتنا، وسنكون على اتصال دائم بكم.

فهد: «أحمد» ... نحن لم نشعر ولو للحظة واحدة بأننا أقلُّ منكم أو أصغر من الحدث ... لقد تعلَّمنا في المنظمة أن المهمة هي التي تختار الرجل ... وليس الرجل هو الذي يختار المهمة.

ريما: آآه ... ولِمَ الرجل فقط ... ألسنا كلنا أعضاء في منظمة واحدة لنا ما لكم وعلينا ما عليكم؟!

عثمان: يا «ريما» كلُّنا هنا رجال ... حتى «إلهام» التي ستُشاركنا هذه المهمة.

ضحكَت «إلهام»، وقالت: أين معداتنا؟

أحمد: «قيس» ... لو سمحت نريد معداتٍ للغطس ... وأسلحة حديثة ...

وببراعةٍ سجل «قيس» الأمرَ على جهاز الكمبيوتر ... وتحاور معه وتناقش ثم أخيرًا ... خرج بما لم يتوقعه الشياطين من نتائج ... فقد كانت «القلعة» تحتوي على كبسولات مزودة بمحركات دفع غازي على أعلى مستوى تكنولوجي ... تسع كلٌّ كبسولة فردًا واحدًا ... ومزودة بكل أجهزة الاتصال الحديثة ... وبمدفع ليزر وبعض الأسلحة الأخرى، ويتم ركوبها من قاع «القلعة»، حيث تنطلق كالقذيفة بمجرد إدارتها.

وفي أرضية السيارة خلف الكنبة الأخيرة ... انفتح بابٌ يسمح بمرور فرد واحد فقط ... فوفر على الشياطين وقت البحث عنه ... فودَّعهم «أحمد» وتمنَّوا له التوفيق، وانزلق من هذا الباب أنبوب، انتهى به إلى الكبسولة التي أخذَت وضْعَ الاستعداد ثم انطلقَت ... ومن خلفة «إلهام» ... ثم «عثمان» في اتجاه واحد.

وعبر أجهزة الاتصال الحديثة المزودة بها الكبسولة ... اتفق الشياطين الثلاثة والذين أطلق عليهم «قيس» «مجموعة القرش»، انطلقوا في جولات تحت «القلعة»، وقاموا بالاتصال بالشياطين، ونقلوا لهم مشاعرهم، وهم في وسط الماء وحولهم الأسماك من كل نوع ... ثم اتفقوا على لحظة الانطلاق إلى الجزيرة المجهولة ... وبدأ «قيس» عدًّا تنازليًّا علا في نهايته

صفيرٌ صادرٌ من تابلوه الكبسولة، انطلقَت على أثره «مجموعة القرش»، وفي سباق جنوني للوصول إلى المجهول ... وفك طلاسمه ... ومعرفة ما يجري حولهم ولا يجدون له تفسيرًا.

وقبل أن يبلغوا أرض الجزيرة بعدة كيلومترات ... سمعوا صوت أزيز متصل على شاشة بالتابلوه ... عرفوا المسافة الباقية إلى الجزيرة ... فقللوا من سرعة الكبسولة وساروا متجاورين حتى أصبح بينهم وبين الجزيرة عدة أمتار، فأوقفوا محركاتِ الكبسولات ... ثم خرج «أحمد» من كبسولته وتركها بجوار «إلهام» التي ثبتت كبسولتها عن طريق ذراع.

ثم قطع المسافة إلى أرض الجزيرة سباحة ... وحاول تسلُّقَ الصخور فانزلقَت قدماه ... وكلما حاول انزلقَت قدماه، حتى أصابه الإعياء، وكان «عثمان» يتابعه في قلق، ويتمنَّى لو أنه أشار له بطلب المساعدة، إلا أن «أحمد» رأى أنه من الأفضل أن يستلقيَ على ظهره فوق سطح الماء، ويفكر بروية في كيفية تسلُّق هذه الصخور إلا أن استرخاءَه لم يَطُل ... فقد شاهد عن بُعد مجموعةً من أسماك القرش تقترب في خطٍّ مستقيم نحوه ... فغمغم في نفسه قائلًا: إنها تعرف ما تريد ... وقبل أن تَصِل إلى المسافة الحرجة، والتي لا يمكنه إنقاذ نفسه فيها انقلب على بطنه ودارَت يداه كمروحة الطائرة النفاثة ... ومن الاتجاه الآخر كانت الكبسولات الثلاثة تنطلق في اتجاهه، وقلبُ «إلهام» يخفق بشدة خوفًا من أن تَصِل أسماكُ القرش إليه قبلهم، و«عثمان» يوجِّه مجموعةً من الأسلحة إلى أسماك القرش ... داعيًا اللهَ ألَّا تُصيبَ في طريقها «أحمد».

ورغم سرعة الكبسولات ... إلا أن جر كبسولة «أحمد» معهم لم يُعطِهم الفرصة للانطلاق بكل السرعة المطلوبة ... مما أعطى أسماك القرش الفرصةَ للاقتراب من «أحمد» بمسافة خطرة، فترك «عثمان» كبسولةَ «أحمد» مع «إلهام»، وانطلق هو في اتجاه أسماك القرش، وكانت قد فتحَت أفواهها ... ولم يتبقَّ غير أمتار قليلة لتُطبقها عليه ... ويفوز كلُّ قرش بقطعة منه ... إلا أن «عثمان» قطع عليهم الطريقَ ورسم خطًّا بينها وبين «أحمد» بالكبسولة؛ مما أفزع أسماك القرش التي تفرَّقَت تحت وفوق الماء ... و«أحمد» يضرب الماء بيدَيه وقدمَيه ليقتربَ من «إلهام»، وفي الجهة المقابلة تقترب منه «إلهام» التي بدأت أسماك القرش تُطاردها لبطء سرعتها ... وكانت الكبسولة تغطِّي النصفَ العلوي منها فقط ... أما النصف السفلي فيكون خارجها ... ووجد «عثمان» نفسه في مأزق ... فعليه أن يطارد أسماك القرش التي تحوم حول «أحمد» ... وأن يُنقذَ في نفس الوقت «إلهام»، وفكَّر في إطلاقِ بعضِ أشعة الليزر القاتلة ... إلا أنها تفرَّقَت بينها، ولم تُصِب إحداها في مقتل بل أثارَت أعصابَها ... وزادَت حدَّتُها ورغبتُها في الافتراس ... وتحت الماء غاص

«أحمد» ليخرج بعد مسافة قصيرة قدَّرها ... ليدخل في الكبسولة، ويُدير محرِّكَها وينطلق بها ... لتعلوَ مقدمتُها فوق سطح الماء ... ومن خلفه «إلهام»... ويلحق بهما «عثمان» ليدوروا متلاحقين ... ويضعوا حول أسماك القرش حلقة ... وأسماك القرش تدور حول نفسها محاولةً اللحاقَ بأحدهم، وعندما أصابها اليأس والإعياء رحلَت الواحد تلو الآخر ... وكأنها أقسمَت ألَّا تعود إلى هذا المكان مرة أخرى ... وكان الإعياء قد أصاب أيضًا مجموعة الشياطين فآثروا العودة إلى القلعة ... على أن يعودوا صباحًا إلى الجزيرة ... وكان طريق العودة طويلًا بسبب ما أصابهم من إعياء.

وعندما التحمَت الكبسولة بالقلعة ... أعلن كمبيوتر المراقبة عن عودتهم ... وبكثير من الشغف استقبلهم الشياطين، وسمعوا منهم بلهفة تفاصيل المطارة المثيرة مع أسماك القرش ... إلا أنهم لم يصلوا إلى ما انتظروه من هذه الرحلة ... ألا وهو كشف أسرار هذه الجزيرة.

لم يكن لدى «أحمد» قدرة على المزيد من الكلام فطلب طعام العشاء ... وقد كان معدًّا في انتظارهم ... فاجتمع ثلاثتهم عليه ... وتفرقوا للنوم استعدادًا للكرة الثانية.

أما بقية الشياطين ... فقد كانوا يُعدُّون خطة بديلة ... بعد أن فشلت المهمة الأولى بأعضائها.

ورأى «فهد» أن يستبدلوا «إلهام» بأحد الشباب؛ فالمهمة شاقة وخطرة ... إلا أن هذا الكلام لم يلقَ صدًا طيبًا لدى آنسات الجماعة وقد كانت أكثر المتحمسات وأولاهن «ريما» التي قالت: إن كنت تقصد استبدال «إلهام» لإصابتها بالإعياء ... فهذا أمر يرجع لها وهي التي تقرره ... فإن وافقت فسأكون أنا مكانها، أو «هدى» أو «زبيدة» ... فليس لأحد منكم ميزة عنَّا ... فتاريخنا في المنظمة يشهد أننا لم نقل عنكم شيئًا.

ابتسم «فهد» وهو يلاحقها في الكلام قائلًا: «ريما» ... «ريما» ... لقد فهمتِ كلامي على غير مقصده ... وعمومًا يجب أن نكون كلنا مستعدين للقيام بالمهمة بديلًا عن أيٍّ منهم ... أو عنهم كلهم.

قيس: هناك إشارات غير واضحة لم يجد لها الكمبيوتر تفسيرًا ... يلتقطها المستقبل بين الحين والآخر.

ريما: سجلها يا «قيس» وقارِن بينها وبين الإشارات التي ستسجلها بعدها وهكذا ... لعلك تَصِل إلى مفاتيح شفرتها.

مصباح: أشعر أن الأمر غير متعلق بالجزيرة، وأن هذه الإشارات تنبعث من مكان آخر.

قيس: المسح الراداري لم يُثبت وجودَ أية سفن أو بواخر حولنا.

مصباح: ولكنه لم ينفِ وجودَها.

قيس: لا أفهمك.

مصباح: هناك مفاجأة تنتظرنا يا «قيس»، ويجب أن نكون مستعدين لها.

ريما: أحب هذا النوع من التفكير.

ثم قالت بصوت مرتفع: أرجو أن يشاركَنا بقية الزملاء فيما نتحدث فيه.

خالد: ما الجديد يا «ريما»؟

ريما: «مصباح» يرى أن تسجيل الكمبيوتر لهذه الإشارات غير المفهومة ... إنما يُنبئ عن وقوع مفاجأة قريبًا ويجب أن نستعدَّ لها.

مصباح: بالذات خاصة أن الكمبيوتر وكل أجهزته المعاونة لم ينفِ وجود سفن أو بواخر حولنا.

قيس: حتى الآن لم يثبت أيضًا وجود شيء من هذا ... هذا للعلم.

زبيدة: إن توقع المفاجأة يقلِّل من تأثيرها علينا، فنستطيع التعامل معها.

ريما: أي إنكم تتفقون معي.

الشياطين: نعم.

قيس: إذن فليخلد الجميع للنوم ... ولا يبقى مستيقظًا معي غير اثنين منكم.

هدى: سأبقى أنا.

باسم: وأنا.

انتقلت «هدى» و«باسم» إلى جوار «قيس» ... واعتدل باقي الشياطين ... فأخذوا وضْعَ النوم ... بعد أن فردوا مقاعدَهم فتحولت إلى أسرَّة.

وأطفأ «قيس» نورَ صالون السيارة ولم يبقَ غير نور كابينة القيادة ... حيث كان «قيس» يتابع أجهزة تسجيل الإشارات وبجواره «هدى» و«باسم».

فسألهما إن كانَا يريدان رؤية البحر حولهما، فتحمَّسَت «هدى» للفكرة جدًّا، ووافقها «باسم» وضغط «قيس» زرًّا، فتغيَّر لونُ الزجاج الأسود بجوارهما وأمامهما، وصار شفافًا ... وظهر البحر حولهما مظلمًا كالسماء ... غير أن السماء كانت زاخرةً بالنجوم المضيئة ... والتي كانت تكشف عن جسم يقفز بين الحين والآخر فوق الماء ثم يغوص ... وأسماك أخرى مضيئة تقفز فوق الماء ... فالكائنات جميعها نائمة ... وهو جوٌّ يُغري باللهو والتريض.

إلا أن ما رآه «باسم» كان غير ذلك ... فقد رأى جسمًا يُشبه صاري المركب يخرج من الماء إلى ارتفاع معين ... وقبل أن يبلغ «قيس» و«هدى» كان قد اختفى ورأى ألَّا يبلغَهما قبل أن يتأكد.

إلا أن سؤالًا بدر له، رأى أنه سيُثبت له ما رأى ... فحادث فيه «قيس» قائلًا: «قيس» ... منذ دقيقتين فقط شعرت أن مؤشر جهاز استقبال الموجات قد سجل زيادة فيها، أليس كذلك؟

رجع «قيس» إلى الكمبيوتر وسأله، فاتضح له صدْقَ ما قاله ... فسأله قائلًا: هل قرأت المؤشر الرقمي؟

باسم: لا ... بل رأيت جسمًا كصاري المركب يخرج من الماء في هدوء ولم يمكث أكثر من دقيقة، ثم عاد للاختفاء.

قيس: إنه ذيلُ إحدى أسماك القروش التي أتَت خلف «أحمد» والباقين، والمشكلة أنهم لم يبرحوا المكان ... وسيأتي على أثرهم المزيد وسيزيدون من صعوبة مهمة المجموعة.

باسم: صدقني يا «قيس» ما رأيته ليس ذيلَ سمكة.

قيس: مَن قال لك إن القرش سمكة؟

هدى: وهل من المعقول ألَّا يعرف «باسم» ما هو القرش؟!

قيس: لا أقصد ... ولكن انتشار الظلام من حولنا ... وإرهاق عقولنا وعيوننا مما عرفنا ولاقيناه ويدور بداخلنا ... هو الذي يهيئ له ما يظن أنه رآه.

باسم: لقد سجل الكمبيوتر زيادة في نشاط الإشارات وقت أن رأيته.

هدى: ليس أمامنا غير الانتظار والمتابعة ... فلن يُثبت ذلك غير رؤيته مرة ثانية.

وترقَّب الجميعُ ظهورَ ما رآه «باسم»، فسادَ الصمتُ والظلام، ولم يعودوا يسمعون غير رتابة أنفاس الشياطين النائمين ... ولم يسجل المؤشر الرقمي المستقبل الإلكتروني أيَّ نشاط موجي.

غير أن «باسم» ... سمع صوت حركة غير عادية تحت الماء ... فتوترَت كلُّ أعصابه، وتيقَّظَت حواسُّه مترقبًا ما سيحدث إلى أن سمع ثلاثتهم صوتَ ارتطامِ جسم صلب ... بحافة «القلعة» السفلية ... فانتفضوا واقفين غير مصدقين.

ضياع «هدى»!

ولجأ «قيس» لجهاز الكمبيوتر يسأله ... إن كانت بالسيارة المقر أجهزة استكشاف للأعماق ... إلا أن الكمبيوتر لم يفهم السؤال ... وطلبت «هدى» أن تقوم هي بعملية الاستفسار هذه ... وكان التعب قد نال من «قيس»، فترك لها مقعده ... وتمدَّد هو على أحد المقاعد بعد أن فردَه ... ولم يستطع أن يملك عقلَه من التفكير في كل ما حدث ... فأصابه ذلك بإجهاد شديد، وراح في نوم عميق ... في ذلك الوقت كانت «هدى» قد وصلت إلى كيفية إدارة أجهزة مسح الأعماق ... إلا أنها كانت تقوم بالمسح في مستوى عمودي ... أي تحت «القلعة» مباشرة ... ولم يُسفر المسح عن وجود شيء ... ورأى «باسم» أن الجسم الذي اصطدم بهم، ربما يكون هوائي غواصة ... وأنها تحرَّكَت بعد أن شعر من فيها بأن أمرها قد انكشف فشعرت «هدى» بخيبة أمل ... وتمنَّت لو استطاعت التحرك الآن بالكبسولة ... ومعها «باسم» في كبسولة أخرى ... لاستطاعَت كشفَ غموض هذه الإشارات وهذا الهوائي.

قال «باسم»: ولكن ... كيف ستواجهين الأمر ... كان كلامي صحيحًا في أنها غواصة.

هدى: سأعود بأقصى سرعة ... لنتخذ التدابير اللازمة.

باسم: ويشعرون هم أن أمرهم انكشف ... يمطروننا بوابل من رصاصاتهم ... أو أيًّا ما تكون خيرتهم.

هدى: إن كلامك هذا يدفعني إلى الإصرار على النزول بالكبسولة للماء ...

باسم: لا يا «هدى» فـ «أحمد» غير موجود.

فقراري في يدي ... ولا تنسَي أنها مصلحتنا جميعًا.

من بين المقاعد ... مرقَت «هدى» إلى مؤخرة السيارة ... حيث كان الباب السفلي مفتوحًا بناء على الأمر الذي سجلته على الكمبيوتر، فانزلقت منه داخل الأنبوب إلى داخل الكبسولة ... وضغط رد الأمر بالحركة، وانطلقت الكبسولة، لتدور بها «هدى» في دوائر

حول «القلعة» تزداد اتساعًا ... وجهاز مسح الأعماق يعمل بكامل طاقته ... ليكشف ما يدور في المكان.

زادَت سرعةُ دائرة دوران الكبسولة ... وجهاز كشف الأعماق لا يسجل شيئًا ... إلى أن اختفَت «القلعة» أو السيارة عن عينَيها، وكأنما كان هناك مَن ينتظر حدوث ذلك؛ فقد رأت «هدى» الأرقام فجأة على شاشات تابلوه الكبسولة تتغير تغيرات عشوائية ... وتظهر وتختفي دون أية دلالة ... ولاحظت أن سيطرتها على الكبسولة ضعيفة ... فهي تستجيب لها مرة وتُعاندها عشر مرات.

وحاولت العودة إلى السيارة مرة أخرى في خط مستقيم، فتوقَّف محرِّكُها عن الحركة ... وأعطاها مؤشر الوقود إشارة سالبة، بمعنى أن أنبوب الغاز قد فرغ.

هنا شعرَت «هدى» بصعوبة موقفها ... فهي قد ابتعدَت كثيرًا عن مقرِّها العائم ... وها هي أجهزة الاتصال لديها لا تعمل ... والظلام يحيط بها من كل جانب ... وكذلك الأخطار ... ما بين أسماك قرش جائعة لا تنام ... ورءوس إرهاب بلا قلب تحدق بها الآن ... وتتلهى بما هي فيه ... وتضحك من «هدى» في سعادة وسيكون الدور على باقي الشياطين.

ولكنهم لن يستطيعوا ... فهي قد أخطأت حين خرجَت دون أمر من «أحمد» أو موافقة «باسم» ... ودون أن تراجع عداد الوقود ... ودون ... ودون ... وقد أرهق التفكير «هدى» ... كما أرهقَتها الدورات التي دارَتها حول المقر العائم بالكبسولة ... هذا غير ميعاد نومها الذي حلَّ منذ فترة ... وحاولَت دفْعَ الماء بقدمَيها ... غير أنها بعد فترة قصيرة ... غلبها التعبُ ... وشعرَت بالنوم يغالب يقظتَها ... ولا تستطيع مقاومته ... فتسلَّل الرعب إلى قلبها ولأول مرة منذ أن عملَت بالمنظمة ... فهي تخاف أن يغلبها النوم ... فتصير طعامًا سهلًا لأسماك القرش فتوقَّفت عن الحركة ... لتحتفظ بما بقي لها من طاقة ... تُعينها على أن تظلَّ مستيقظة حتى يهديَها الله للنجاة ... أو يغلبها النوم والتعب ... فتكون هذه هي نهايتها المقدرة.

وفي المقر العائم ... كان «باسم» مشغولًا على «هدى»؛ فقد انقطع الاتصال بها ... ولم يَعُد يسمع لمحرك كبسولتها صوتًا ... ومع مرور الوقت ... ازداد قلق «باسم» حتى إنه لم يَعُد قادرًا على الانتظار، فآثر أن يوقظ «أحمد» عن طريق ساعته ... وقد استيقظ ويدُه على زرِّ الساعة ظنًّا أنها رسالة.

غير أنه رأى أمامه «باسم» مبتسمًا، فسأله: ماذا يحدث يا «باسم»، أأنت الذي أيقظتني؟

باسم: نعم.

أحمد: هل هناك جديد؟

باسم: نعم.

شعر «أحمد» أن باسم لديه أخبار سيئة ولا يريد الإفصاح عنها ... قبل أن يستعدَّ لها ... ويُفيق من نومه تمامًا ... فترك مكانه وجلس أمام عجلة القيادة، وبجواره جلس «باسم» منتظرًا منه الإصغاء ... فقال له «أحمد»: هيا يا «باسم» ... ها أنا ذا مستيقظ لك تمامًا.

باسم: «هدى»!

أحمد: أين؟!

باسم: في إحدى الكبسولات ... بعيدًا عن هنا ولا أعرف لها مكانًا.

أحمد: وكيف اتخذت هذا القرار؟

فحكى له «باسم» كلَّ ما حدث، فلامَه لأنه لم يُوقظه، وأنه لم يمنع «هدى» من النزول في هذا الوقت، بالذات بعد أن أصبح هناك شكٌّ في أن آخرين غيرهم موجودين في هذا المكان.

ثم أسرع بإيقاظ «عثمان» ... وقاموا باستبدال ملابسهم ... وتناولوا بعض الحلوى مع الشاي ... لكي يحصل جسمُهم على الطاقة التي يحتاجها ... ومن مؤخرة السيارة انزلقوا عبر الأنبوب إلى الكبسولتين ... وبمراجعة أجهزتهما ... وجدَا أن عدادات الوقود تدل على وجود قدرٍ غيرِ كافٍ في الخزانات بعد الرحلة التي قاموا بها.

فقامَا باستبدال خزانات الغاز ... وعبر أجهزة الاتصال سأل «باسم» عن وجهتها ... فأخبره أنها كانت تدور حول المقر في دوائر تزداد اتساعًا فعرف أن الوقود قد نفد منها وأنها في مأزق ... فاتفق «أحمد» مع «عثمان» على مسح المنطقة في دوائر تبادلية ... مع متابعة مؤشر الوقود ... على أن يحتفظ بما يكفي لعودته إلى المقر.

وانطلقت الكبسولتان تحملان «أحمد» و«عثمان» ... وبداخلِ كلٍّ منهما ألف سؤال عمَّا حدث لـ «هدى» ... وعن كيفية الوصول لها ... وماذا ستفعل لو عرفت أسماك القرش مكانها ... أو لو وصل سكان الجزيرة إليها قبلهم؟

ومر الوقت ... وطال البحث ... لكن «هدى» لم يظهر لها أثر.

وتوقَّف «أحمد» عن الحركة انتظارًا لما سيأتيه به «عثمان».

وعن بُعد ... رأى ما بدَّد قلقَه ... وأذهب الحزنَ عن قلبه ... إنه «عثمان» ومعه كبسولة «هدى» ... وبالتأكيد هي داخلها ...

إلا أن القلق عاد ثانية ... وتحول إلى خوف وهواجس بعد ما وجد أن الكبسولة فارغة ... فسأل «عثمان» قائلًا: أين وجدتها؟

عثمان: على بُعد ميلين منَّا في الاتجاه الشرقي.

أحمد: وهل كانت هناك آثار دماء؟

عثمان: لا هناك ولا على الكبسولة.

أحمد: ومن المستبعد أن تكون قد تعرَّضَت للغرق.

عثمان: لماذا؟ ألا يصيبها الإرهاق ... ويغلبها النوم وسط هذه الحياة.

أحمد: كانت ستنام داخل الكبسولة ... فلا تتعرض للغرق.

عثمان: إذن أين ذهبت؟

أحمد: لقد اختطفت.

عثمان: ومَن اختطفها ... ولماذا لم يخطف الكبسولة؟

أحمد: إنه لا يعرف عنها شيئًا ... لذا فهي لا تعنيه في شيء.

عثمان: والخطوة القادمة؟

أحمد: علينا أن نعود للمقر للتزود بالوقود ... وتناول طعام الإفطار ... ونعقد اجتماعًا نقرِّر على أثره ما سيتم عمله.

وبعد تثبيت الكبسولة الفارغة بين كبسولات الشياطين ... انطلقا في سرعة جنونية ... فالدقائق محسوبة عليهم، والويل لهم من أنفسهم إن لم يُنقذوا «هدى»! واستقبلهم الشياطين في قلق بالغ عليهم وعلى «هدى» ... وتناولوا سويًّا طعامَ الإفطار على عجل، وقام فريقٌ منهم بتغيير خزانات الغاز للكبسولات ... والاطمئنان على أن كل شيء في مكانه.

وقبل أن ينطلق الشياطين الثلاثة، عقد «أحمد» اجتماعًا عاجلًا، شرح فيه ما حدث بالتفصيل، فرأت مجموعةٌ منهم أنه يجب البحث على الجزيرة فقد تكون هناك ولا تستطيع التحرك بدون الكبسولة التي قد تكون الأمواج حملَتها من جوار الجزيرة إلى حيث وجدها «عثمان».

فأخذ «أحمد» القرار بالبحث على الجزيرة أولًا ... ومن مؤخرة السيارة، انزلق الشياطين عبر الأنبوب إلى الكبسولات وانطلقوا يقصدون الجزيرة، وبداخلِ كلٍّ منهم يبرق الأمل في أن يجدوا ليس «هدى» فقط، ولكن رقم «صفر» أيضًا.

اقترب الشياطين من الجزيرة ... وأخذوا يطوفون حولها بحثًا عن موضع قدم ممهد يمكنهم من الوصول إلى المساحة المستوية على سطحها إلا أن «أحمد» لاحظ معبرًا يغوص في الماء ... يصل ما بين البحر والجزيرة ... فتشاور مع «إلهام» و«عثمان»، وخرج من

كبسولته ... وغاص تحت هذا المعبر ... وقطع طريقًا طويلًا سباحة، حتى وجد نفسه يخرج من الماء وسط الجزيرة ... و«عثمان» يراقبه هو و«إلهام»، فأشار لهما يُطمئنهما.

ثم طاف بالجزيرة الصغيرة ... فلمح مدخلًا لكهف قديم ... يبدو أن الماء قد انحسر عنه منذ فترة بعيدة ... أي أنه كان جزءًا من قاع البحر.

ولم يتردَّد «أحمد» في دخول الكهف ... الذي بدأ بسرداب طويل وانتهى بقاعة كبيرة مظلمة ... فأخرج بطاريته ... ودار بضوئها بين جنبات القاعة ... فرأى ما لم يكن يتوقعه؛ فالكهف مكدس بالسلاح والذخيرة والخزائن الحديدية الكبيرة ... فآثر أن يعود ليُخبرَ قيادة المنظمة عن هذا الوكر الذي يمدُّ الإرهابيِّين بما يحتاجونه من سلاح يهددون به أمنَ دول شمال أفريقيا وعلى رأسها «مصر»، ... إلا أن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن ... فقد وقع في أسرِ أحدِ حراس الكهف تحت تهديد السلاح.

ولم يكن لدى «أحمد» وقتٌ لكي ينتظر نومه أو غفلته عنه ... لذا فقد سلَّط شعاعَ ليزر من مولِّدٍ خفيٍّ على إحدى القنابل التي يحتويها الكهف ... فدوَّى انفجارٌ رهيب، زلزل الجزيرة ... وأطاح بالرجل و«أحمد» فسقطَا وسط الماء بين كبسولتَي «إلهام» و«عثمان» ... فسهل عليهما مهمة القبض عليه ... وعاد الشياطين يصطبحون بدلًا من «هدى» ... أحد الإرهابيِّين مقبوضًا عليه.

وفي المقر العائم ... رأى «باسم» للمرة الثالثة الصاري الذى رآه يخرج من وسط مياه البحر ... يخرج ثانية ولكنه رأى على قمته ما يُشبه الكاميرا، فعرف أنه منظار غواصة ... وقبل أن يستدير هذا المنظار إليهم ... كان «قيس» قد أعطى الأمرَ للسيارة ... فغاصَت في الماء ولم يَعُد لها أثر.

ومثلها اختفى المنظار ... قبل أن يَصِل «أحمد» ومَن معه إلى المكان كما حدَّدَته البوصلة الإلكترونية للكبسولة ... إلا أنه لم يجد شيئًا ... فدفعه ذلك للشك في البوصلة ... إلا أن «عثمان» و«إلهام» أبلغاه بأن بوصلة كبسولتَيهما ... أعطَت نفسَ النتيجة فظنَّ أنها قد اختطفَت وبها كلُّ الشياطين ... وشعر وقتَها بفداحة الجرم الذي ارتكبَته إدارةُ المنظمة ... بوضعهم كلهم معًا في مركبة واحدة، حتى ولو كانت القلعة ... واحتار «عثمان» في الخطوة التي سيُقدمون عليها الآن ... فكلُّ شيء مشوَّش ... وخزانات الوقود في الكبسولات لن تكفيَ لعودتهم إلى الميناء.

غير أن رسالة تلقَّاها على كمبيوتر الكبسولة ... جعلَته يكاد يُقهقه ضحكًا ... فالسيارة تحته بالضبط ولا تحتاج منه إلا الغوص لبضعة مترات.

فأسرَّ بذلك لـ «أحمد» و«إلهام» التي أشرق وجهُها بابتسامة جميلة ... جدَّدَت الأملَ لدى «أحمد» في العثور على «هدى» ورقم «صفر».

وردًّا على الرسالة ... طلب من «قيس» الطفوَ على سطح الماء لاصطحابهم ... وارتفعَت السيارةُ العجيبة من تحت سطح الماء ... وطفَت ... لتحمل فوق سطحها «أحمد» في كبسولته ... وهو يصيح في «قيس» قائلًا: أنزلني ... أنزلني ... و«إلهام» و«عثمان» يضحكان.

ودفع «أحمد» بالكبسولة إلى الماء ... ثم قفز خلفها ... وعلى أثره «عثمان» ثم «إلهام» بعد أن ثبَّت كلٌّ منهم كبسولتَه.

ومن بين مجموعة الشياطين عرف قصة الغواصة، فلم يشكَّ للحظة أنها هي التي اختطفَت «هدى» وتأكَّد من قُرْب المواجهة معهم ... لذا وجد أنه من الأرجح أن يبدءوا هم بالهجوم.

مصباح: نهاجم مَن؟ وكيف؟ وأين؟

إنهم تحت سطح الماء يا سيدي ... ولديهم القدرة على التحرُّك والمناورة من مواقعهم ... أما نحن ... فلا نستطيع التحرك بقلعتنا إلا فوق سطح الماء ...

أحمد: ألديك الاستعداد للنزول معي لتلغيمها؟

مصباح: ليس من الضروري أن تكون أنت ... فلينزل معي أحدٌ غيرك ... ويكفيك ما قمت به.

أحمد: هذا قراري ... وأنتظر قرارك.

مصباح: طبعًا، سأغوص معك.

وهنا صاح الشياطين مستنكرين تلك الأحاديث الجانبية بين «أحمد» و«مصباح».

أحمد: إنني سأقوم بمهمة وأعرض على «مصباح» أن يُشاركَني فيها.

ريما: أية مهمة؟

أحمد: تفجير الغواصة التي رأيتموها.

انفجارٌ بالقلعة وحريقٌ بالغواصة!

ارتدى «أحمد» و«مصباح» بدلتَي الغوص ... وراجعَا ما لديهما من أسلحة وأجهزة اتصال ... والبوصلة المضيئة وغادرَا القلعة ... في المهمة الانتحارية ... التي يهدفون من ورائها ... إطلاق سراح «هدى» ... والقبض على مَن بالغواصة ... وقد ودَّعهم كلُّ مَن بالمقر بالدعوات ... والتمنيات بالتوفيق.

ومن مؤخرة السيارة إلى باب آخر فأنبوب مختلف يصل إلى سطح الماء ... واهتز الماء وهو يحتضن «مصباح» و«أحمد» في طريقهما لإنقاذ زميلتهما ... وإنقاذ البشرية من أولئك الإرهابيِّين ... الذين لا يتورعون عن القيام بأخس الأعمال إرضاءً لنفوسهم الدموية ... ولرغبات أعداء الإنسانية المتربصين بنا في كل مكان.

كان الماء حولهما ساكنًا ... والظلام يكتنف المكان ... ولا يكاد يريانِ شيئًا، فأشعل «أحمد» مصباحه ... وبدأ يمسح المكان بحثًا عن الغواصة ... وكلما فشل في العثور عليها ... هبط إلى عمق أكبر ... حتى لمح عن بُعد مجموعةً من أسماك القرش ... تلتفُّ حول صخرة كبيرة ... تبيَّن لهما فيما بعد ... أنها ليست صخرة ... بل هي الغواصة المأمولة.

ولكن ... وفي وجود أولئك الدخلاء، سيكون من الصعب الاقتراب منها ... فأشار لـ «مصباح»، وصعدَا إلى سطح الماء ... وبعد اتصالات بالمقر العائم ومشاورات ... قام «عثمان» باصطياد طائر بحري ... وابتعدوا بالسيارة عن المكان ثم ذبحوا الطائر ... وألقوا بجثته في الماء ... وغاص «مصباح» مرة أخرى ومن خلفه «أحمد» ... وعندما اقتربَا من الغواصة ... لم يجدَا سمكة قرش واحدة فقد اجتذبَتها رائحةُ الدماء.

وعلى أرض القاع ... زحف «أحمد» ومثله فعل «مصباح» حتى لا يراهما أحدٌ من نافذة الغواصة وعلى جسمها الخارجي ... وفي أماكن متفرقة منه، ثبَّتا العديد من القنابل

التي يتم التحكم فيها عن بُعد ... وعندما انتهيَا ... ابتعدَا مثلما اقتربَا ... ثم صعدَا إلى سطح الماء.

وقطعَا الطريق سباحة إلى حيث كانت تقف «القلعة» فتسلَّقاها في مهارة واستبدلَا ملابسهما ... وتوجَّه «أحمد» إلى مركز قيادة المقر، فأدار محركاته وسار به حتى اقترب من موقع الغواصة، فأعطى أول إشارة ... لأول قنبلة، وعلَا صوتُ انفجارٍ دفين، صاحبَه اندفاعُ الماء من السطح إلى السماء وعلى ... أثره شاهد الشياطين من قلعتهم ... مياه البحر الأبيض المتوسط وهي تضطرب ويعلو من طياتها صوتُ محركاتٍ يزداد ارتفاعًا مع زيادة، غواصة من غواصات الحرب العالمية الثانية.

قال «أحمد»: ياه ... أترَون ... إن هذه الغواصة لم يَعُد لها قيمة إلا عند أولئك البشر.

إلهام: وماذا يفعلون بها؟

أحمد: إن الجزيرة التي احترقَت هي مخزن أسلحتهم، التي كانوا يَصِلون إليها مستخدمين هذه الغواصة ... فيسهل عليهم شراء ... وتوزيع السلاح.

رشيد: يشترونه من دول مشبوهة، ويبيعونه للإرهابيِّين. في تلك الأثناء ... خرج مجموعةٌ من الرجال على سطح الغواصة ... يوجِّهون أسلحتهم للسيارة المقر.

فعلَا صوتُ «أحمد» عبر مكبرات الصوت يأمرهم بالاستسلام ... فغواصتهم ملغمة ... وإذا كانوا يريدون التأكد ... فلديهم عنده تجربة صغيرة ... ولم ينتظر موافقتهم، بل أرسل إشارة ... فانفجرَت قنبلة أخرى بجوار غرفة المحركات ... جعلَت الرجال يتصايحون وكبيرهم يطلب من «أحمد» التفاهم.

أحمد: نريد ما عندكم؟

الرجل: لا نعرف ماذا تريدون؟! إن كنتم تريدون مالًا، فأخبرونا كم المبلغ الذي تريده؟

أحمد: كم تستطيعون الدفع؟

الرجل: ما تطلبه.

أحمد: عشرة ملايين دولار ...

الرجل: لا ... ليس إلى هذا الحد، إن ما تتكلم عنه لا يتوفر إلا في الأحلام.

أحمد: إذن فلنفجر إنذارًا آخر.

الرجل: ولماذا؟ فلتطلب ما نستطيع تدبيره لك.

أحمد: عشرة ملايين دولار ...

الرجل: كيف ... وقد احترق مخزنُ الذخيرة والسلاح؟

أحمد: هذا ليس شأني.

الرجل: فلنجعلها مليونًا.

أحمد: إنك تنوي معي على شيء ... فستبدأ بمليون لتكسب وقتًا فإلى أن تصل إلى مبلغ معقول ... تكون قد استعددت للخروج من ورطتك معي.

الرجل: ولماذا تظن فيَّ هذا الظن؟

لم يردَّ «أحمد»، بل فجَّر قنبلة ثانية ... وقد راعى ألَّا تؤديَ هذه القنابل إلى غرق الغواصة ... حتى يظلوا متمسكين بها ... ويقبلوا المساومة.

علَا صوتُ انفجارِ القنبلة الثالثة، وارتفع الماء إلى عنان السماء ... ثم عاد ليُغرق الغواصة ومَن عليها.

قال «أحمد»: أليس لديكم أسرى أو رهائن؟

الرجل: نعم.

أحمد: إذن أطلقوا صراحهم.

الرجل: اتركونا نرحل، وأعدك أن نُطلق سراحهم.

أحمد: ليس لديك أحدٌ وسأفجر القنبلة الرابعة ... وهذه المرة في مكان قاتل.

الرجل: لا داعي وسأعطيك كلَّ ما لدينا على الغواصة.

أحمد: وكم لديك؟

الرجل: ستة ملايين ونصف المليون.

أحمد: دولار؟

الرجل: نعم!

أحمد: أغلق عليها برميلًا من البلاستيك ... وألقى به في الماء ...

وبمجرد أن ألقى برميل النقود في الماء ... كانت شبكة معدَّة خصيصًا لهذه الأغراض قد انتشلَته ... وبعد فتحِه والتأكد منه قال له «أحمد»: هذه الأموال سوف تُنفق على مَن أصابهم إرهابُكم ... الذي حوَّل أمنهم إلى خوف، والآن ... هل تستسلمون باختياركم ... أم نُجبركم على ذلك؟

الرجل: ألم تأخذ النقود؟

أحمد: ليست نقودكم.

الرجل: ألم تعدني؟

أحمد: مثلكم ليس لديه وعد ... وليس لمثلي أن يعدَه.

ثارَت أعصابُ الرجل وأخذ يقفز ويتوعَّد ... ودون أن يلاحظ «أحمد» انطلقَت من الغواصة قذيفة ... أصابَت السيارة في جسمها الخارجي، فصنعَت به فجوةً كبيرة ... مما

أثار «أحمد»، فأطلق مجموعة من الإشارات الصوتية ... أعقبها مجموعةٌ من الانفجارات بجسم وغرفة محركات الغواصة ... صاحبها صراخُ المرافقين للرجل ... ثم جذبوه لأسفل ... ولم يظهر بعدها، وخرج لهم رجلٌ آخر مما دفع «أحمد» لسؤاله: هل قتلتموه؟

الرجل الآخر: لا ... لم نقتله ... لقد وقع في غرفة الوقود المشتعلة.

أحمد: ما اسمك؟

الرجل: «ماهيتار».

أحمد: ألست عربيًّا ... هل توافق على تسليم نفسك؟

الرجل: لمن؟

أحمد: للسلطات المصرية.

الرجل: مقابل ماذا؟

قال «أحمد» بنفاد صبر: بدون مقابل ... فالغواصة الآن لن تصلح لنقلكم إلى أيِّ مكان ... وانفجاران آخران وتحملكم معًا إلى القاع.

ماهيتار: لا يهمُّ ... وعلى فكرة ... عندي هدية لك.

صرخ «أحمد» في الشياطين كي ينبطحوا في قاع السيارة ... وكما توقَّع ... فقد أصابَت قنبلةٌ أخرى جسمَ «القلعة» فجعلَت المقرَّ كالأتوبيس الخَرِب.

فأصدر «أحمد» آخرَ إشاراته ... فعلَا صوتُ عدةِ انفجارات متتابعة ... تطايرَت معها الغواصة شظايا ... واشتعل خزان الوقود ... وارتفعَت ألسنة اللهب في السماء.

وعلى مسافة ليست بالبعيدة ... ظهر مجموعةُ رجال الغواصة، والمياه تغمرهم والعديد منهم ينزف ... وقد احمرَّ لونُ المياه حولهم.

فعلق «أحمد» على ذلك قائلًا: ستجذب رائحةُ الدماء أنوفَ سمك القرش.

إلهام: أنوفها فقط؟

عثمان: وسيسيل لعابها.

وهذا ما رآه رجال الغواصة ... ومعهم «ماهيتار»، فقد شاهدوا عن بُعد ... ذيولًا كالأهلة ... تقطع الماء في سرعة ... مقتربة منهم ... فتصايحوا في فزع مستغيثين.

وفي هذه اللحظة ... علا صوتُ جلبة في الماء ... واضطراب سطحه بشدة ... واندهش الجميع عندما شاهدوا غواصة حديثة ... تخرج من تحت الماء ... وعليها علَمُ السلاح البحري المصري!

وبدلًا من أن يهرب «ماهيتار» ومَن معه منها ... هربوا إليها من مذبحة أسماك القرش ... الذين استشاطوا غضبًا ... عندما ساعدهم رجالُ البحرية على تسلُّق سطح الغواصة

مقبوضًا عليهم ... فتركوهم ليُحيطوا بسيارة الشياطين التي كانت تغرق وكأنهم متأكدون أنهم لا محالة سيصلون إلى سطح الماء.

كان الماء يتسرَّب إلى كل جزء من «القلعة» ... ويزيد وزنها ... ويخل اتزانها الذي حاولَت الحفاظ عليه فترة طويلة.

فأشار ضباط البحرية للشياطين ... ليُطمئنوهم ... واقتربوا منهم ... حتى لاصقوا المقر المنهار ... فانتقل الشياطين الاثنا عشر إلى الغواصة ... وكلُّهم قلق وحزن على «هدى».

وكان هذا أول موضوع تحدَّث فيه «أحمد» إلى قبطان الغواصة ... الذي وعد «أحمد» بمعاونتهم في العثور عليها.

وكان ميعاد تحرُّك الغواصة، فطلب ربَّانُها من الشياطين مغادرةَ سطحها والنزول إلى العنبر الذي سيُقيمون فيه حتى يصلوا إلى الإسكندرية.

وكم كانت مفاجأة جميلة ... عندما عثروا في هذا العنبر على «هدى» ... التي تبادلَت الأحضان والقبلات مع «إلهام» و«ريما» و«زبيدة»!

وقطع عليهم فرحتَهم ضابطُ الاتصالات يطلب من «أحمد» التوجُّهَ إلى غرفة اللاسلكي.

وهناك ... ناول «أحمد» الهدفون ... حيث وضعه على أُذُنه ... وسمع ماذا ... لقد سمع رقم «صفر» يُهنئه على نجاح المهمة ... ويطلب منه تهنئةَ زملائه ... ويعدهم باللقاء قريبًا جدًّا ... لتوضيح ما يطلبون توضيحه ... ولشرح أبعاد المهمة الجديدة.

وعاد «أحمد» إلى جماعة الشياطين قائلًا لهم: أتعرفون مَن كان يتصل بنا؟

الشياطين: مَن؟

أحمد: رقم «صفر»!

الشياطين: واو ... غير معقول ... واو ... يا لَها من مفاجأة جميلة!

هنـــداوي